

## الفصل الثالث

### العدالة البيئية رؤية تاريخية

أولا: مقدمة الفصل الثالث.

ثانيا: العدالة البيئية فى مصر الفرعونية.

ثالثا: العدالة البيئية عند أفلاطون والحضارة اليونانية.

رابعا: العدالة البيئية فى الحضارة الرومانية.

خامسا: العدالة البيئية فى الفكر الصينى.

سادسا: العدالة البيئية فى اليهودية.

سابعا: العدالة البيئية فى المسيحية.

ثامنا: العدالة البيئية فى الإسلام.

## الفصل الثالث

### العدالة البيئية رؤية تاريخية

#### أولاً: مقدمة

كان الإنسان في بدايات نشأة الحياة يعيش في قبائل ومجموعات صغيرة متفرقة، ويزاول الصيد والقنص في الرعي وقليل من الزراعة<sup>(١)</sup> وكانت حياة الإنسان في هذه العصور مضمونة بالجهد الخاص الذي يبذله في تحصيل قوته والحفاظ على أملاكه، فإذا لم يكن ذى مقدرة كافية للقيام بهذا الجهد كان عرضه للفتنة<sup>(٢)</sup> ومع تطور المجتمعات وزيادة أعداد البشر عرف نظام الأسر والملكية المشتركة، وأقيمت المدن وظهرت الملكية الخاصة، وانتعشت التجارة والأسواق مع الصناعات الخفيفة، ونشأت الدول وظهرت الطبقات سواء الحاكمة، أو طبقة الأشراف ورجال الدين، ورجال الأمن، وطبقة التجار، ثم الزراع وأرباب المهن، وبدأ الظلم وغياب العدالة بدرجة أو أخرى<sup>(٣)</sup> وظهر الرق، وأخذت العدالة الاجتماعية تفقد كثيرا من أبعادها وظهرت الحاجة إليها، ففي العصور القديمة كانت بعض المحاكم أيام الرومان واليونان تقضى على بعض الناس أن يكونوا عبيدا لسواهم، لا لسبب سوى أنهم ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عن حقوقهم في الحياة الكريمة، أو رد ديونهم، وللأسف نجد بعض الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو يدعون إلى الرق، فنجد على سبيل المثال مقولة أرسطو «في العالم أناس مخلوقون للسيادة وآخرون مخلوقون للطاعة وحكمهم في ذلك حكم الآلات الحية التي تساق للعمل» ويقول أفلاطون «إن الإله الذى جلبكم وضع فى طبيعة بعضكم ذهباً يمكنهم من أن يكونوا حكاماً، فهؤلاء هم الأكثر احتراماً، ووضع فى جبلة المساعدين فضة لأن يكونوا زراعاً، وفى العبيد نحاساً وحديداً»<sup>(٤)</sup> وهذا التشبيه بالآلة أو المعادن يتنافى مع تكريم المولى الكريم لبنى البشر، وليس لعربى فضلا على أعجمى إلا بالتقوى، ويخلق من ظهر العالم فاسد ومن ظهر الفاسد عالم، وهذا لا يمنع من أن فكرة العدالة ظلت

(١) (عبد الرحمن نصير، ١٩٦١م، ص ٧).

(٢) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٢١).

(٣) (عبد الرحمن نصير، ١٩٦١م، ص ٨).

(٤) (محمود الشرقاوى، ١٩٦١م، ص ٢٢).

مطروحة فى هذه العصور لى هؤلاء الفلاسفة وغيرهم عبر التاريخ، وعلى سبيل المثال جاء هيسيوڊ فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وطالب بالعدالة الاجتماعية وإنصاف الطبقة الكادحة، وهاجم الملوك الظالمين، والأمراء المستبدين وقال «إن الحكام الذين يحكمون بالعدل تزدهر بلادهم، وتنتعش الحياة فيها، ويرعاها الإله ويسودها الرخاء والسلام، وكان هيسيوڊ يرى أن تقدم المجتمع مرهون بتحقيق العدالة والإخلاص فى العمل<sup>(١)</sup> ثم ظهر بعد ذلك المفكر سولون الذى استلهم من هيسيوڊ أفكار العدالة، وانتخب رئيسا لحكومة أثينا، وأصدر قانونا يسمى «قانون إسقاط الأثقال عن الفقراء» وبمقتضاه ألغى الديون العامة والخاصة عن جميع الفقراء عام ٥٩٤ قبل الميلاد، وتبع ذلك تحرير الرقيق وأعاد إليهم ملكية الأراضى، وألغى قانون تنازل المواطن عن حريته بسبب الديون وغيرها من القوانين لتحقيق العدالة<sup>(٢)</sup>، كما يذكر التاريخ فى القرن الأول قبل الميلاد، قيام العبيد بثوره مسلحة تحت قيادة سبارتاكوس وهو عبد مقدونى رفض أن يبقى فى أسر العبودية، وجمع نحو مائة ألف من العبيد من بلاد شتى، وبرغم تمكن الرومان من هزيمة جيش سبارتاكوس فإن الآثار الناتجة عن ذلك أكدت حاجة العالم للعدالة<sup>(٣)</sup>، وجاءت الأديان السماوية الثلاث بمبادئ واضحة للعدالة وفى ضوء ما سبق سنحاول إلقاء إطلاله سريعة على العدالة عبر التاريخ، وسنبدا بالعصر الفرعونى، حيث الإشارات واضحة ومميزة لمفهوم العدالة من المنظر البيئى الشامل، ثم تتناول أهم آراء الفلاسفة عبر الحضارات التاريخية الأخرى، إلى أن نصل إلى العدالة فى الأديان السماوية الثلاث، ومع ظهور الأديان السماوية وتناولها لقضية العدالة، حسم الأمر وخاصة مع ظهور الإسلام واهتمامه ليس بقضية العدالة البيئية بوجه عام فقط، ولكن بتفاصيل دقيقة عن كيفية ووسائل تحقيقها، وبعد ذلك تتضائل قيمة ما كتب عن العدالة البيئية أو حتى الاجتماعية، ويؤكد ذلك العالم «برتلمى سانت هيلير» فى مقدمته المسهبة للترجمة العربية لكتاب السياسة لأرسطو فيقول «من شيشرون إلى ميكيا فيلى - لا بد من اجتياز نحو خمسة عشر قرنا دون أن نجد مؤلفا واحدا ذات قيمة عن السياسة أو العدالة» ويعتبر جاك روسو فى كتاباته عن العقد الاجتماعى هو من أهم الكتابات الجادة بعد ذلك<sup>(٤)</sup>.

وبذلك يتوقف هذا الفصل عند العدالة البيئية فى الأديان السماوية الثلاث، على أن ينتقل الفصل التالى لمجهود العلماء فى العصر الحديث لقضية العدالة فى الفكر الاجتماعى والنظرية الاجتماعية.

(١) (محمد صقر، ١٩٦٢م، ص ٢٠٥).

(٢) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٢٤).

(٣) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٣٦).

(٤) (جمال البنا، ١٩٩٦م، ص ٢ : ٥).

## ثانياً: العدالة البيئية فى مصر الفرعونية:

إن فكرة العدالة فى مصر الفرعونية قديمة قدم الدولة الفرعونية، وظلت فى أول أمرها بمثابة أمر شخصى خاص بالفرد للدلالة على الخلق العظيم فى الأسرة والبيئة التى تحيط بالإنسان مباشرة، ثم انتقلت بالتدرج إلى مكان أوسع فصارت تمثل النظم وشئون البشر، بهدف المساواة بين جميع أفراد الشعب دون تمييز لأحد، ثم أصبحت قوة العدالة أقوى من سلطات الملك نفسه، واتخذت العدالة مكاناً بارزاً فى حكم ونصائح الحكماء المصريين منذ عصر الدولة القديمة وما بعدها، كما تصور لنا بعض النصوص، مثل قصة القروى الفصيح فكرة الإنسان المصرى فى عصر الفراعنة، وتصوره العدالة، منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وبداية الألف الثانى، واستمرت هذه الفكرة خلال عصر الدولة الحديثة، وظهر ذلك خلال خطاب تكليف الوزير الأعظم بمهام وظيفته، حيث تشير إلى ضرورة اتباع القانون «عليك أن تظمنن لأن كل شىء يجرى وفق القانون»<sup>(١)</sup> ويلاحظ هنا الربط بين الاطمئنان والعدل - هذا هو حال الوزير الأعظم فى مصر منذ آلاف السنين - فهل نعلم الآن هذه الحقيقة كمسئولين؟! إن الدراسة المتأنية لفكرة العدالة البيئية فى العصر الفرعونى تؤكد أن الفراعنة كانوا على دراية واسعة وعميقة بكثير من عناصر ليس فقط العدالة الاجتماعية ولكن بعناصر العدالة البيئية بمفهومها الواسع، بل وتؤكد إيمانهم العميق بفكرة البعث والحياة الأخرى والثواب والعقاب، وكل ذلك من خلال علاقته بالعدالة البيئية بمفهومها الواسع، بداية من رعاية الفقراء والمحتاجين إلى حماية نهر النيل من التلوث والبيئة بوجه عام، وسوف نحاول توضيح أهم الأفكار الأساسية فى العصر الفرعونى المرتبطة بالبيئة فى إيجاز كالتالى:

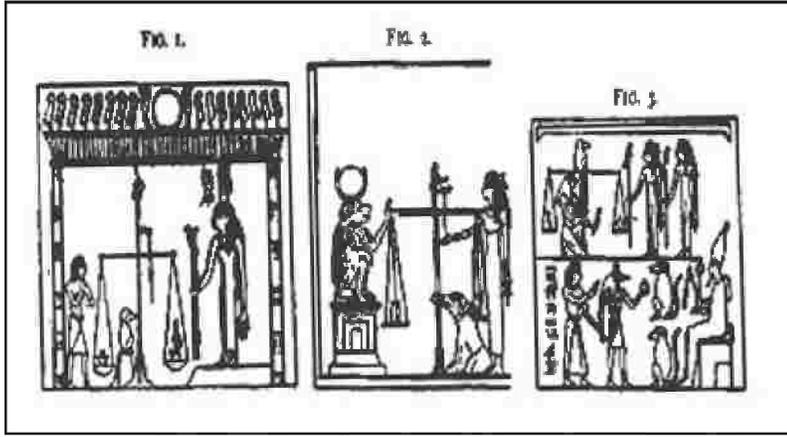
### ١- العدالة هى الحق:

عبر عن العدالة فى اللغة المصرية القديمة بكلمة «ماعة» وهى تفيده معنى الحق والحقيقة والصدق والاستقامة والعدل<sup>(٢)</sup> وأصبحت «ماعة» آلهة للعدالة والصدق والاستقامة، كما تضمنت «ماعت» كل هذه المعانى مجتمعة متضمنة الحكمة والأخلاقيات والشرائع كما أصبحت تعنى «الكلام المنسجم مع الواقع»<sup>(٣)</sup>.

(١) (أحمد أمين - سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص١٤).

(٢) (Gardiner, 1982, 567).

(٣) (أحمد أمين - سوزان عباس، ص٤٥).



يلاحظ في هذه الصورة ماعت إله العدالة في العصر الفرعوني  
مع وجود الميزان كأساس لمحااسبة الإنسان وتحقيق العدل

كما يلاحظ هنا وفي مواضع أخرى سوف يتكرر التقارب الواضح بين ديانة المصريين القديمة وبين الإسلام<sup>(١)</sup> حيث ربط القرآن الكريم بين الحق والعدل في آيات كثيرة، وحيث أن العدل والحق اسمان من أسماء الله الحسنى، والله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب وأرسل الرسل وأقام السماوات والأرض بالحق، والحق أساس كل الأديان والرسالات السماوية والتي نعلم بعضها ولا نعلم البعض الآخر في الأزمنة القديمة، ومن الآيات التي ورد بها الحق في القرآن الكريم ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾ [سورة: الأنعام - الآية: ٦٢].
- قال تعالى: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة: طه - الآية: ١١٤].

- قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة: الحج - الآية: ٦].

- قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة: الحج - الآية: ٦٢].

(١) (جمال البناء، ص٤٦).

• قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [سورة: المؤمنون - الآية: ٧١].

• قال تعالى: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة: المؤمنون - الآية: ١١٦].

• قال تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [سورة: النور - الآية: ٢٥].  
• قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ ﴾ [سورة: لقمان - الآية: ٣٠].

ثم يشير المولى الكريم إلى أن خلق الله هو الحق في قوله تعالى:

• قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة: إبراهيم - الآية: ١٩].

• قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصِّحٌ فَاصِّحٌ الْجَمِيلِ ﴾ [سورة: الحجر - الآية: ٨٥].

• قال تعالى: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة: العنكبوت - الآية: ٤٤].

• قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة: الروم - الآية: ٨].

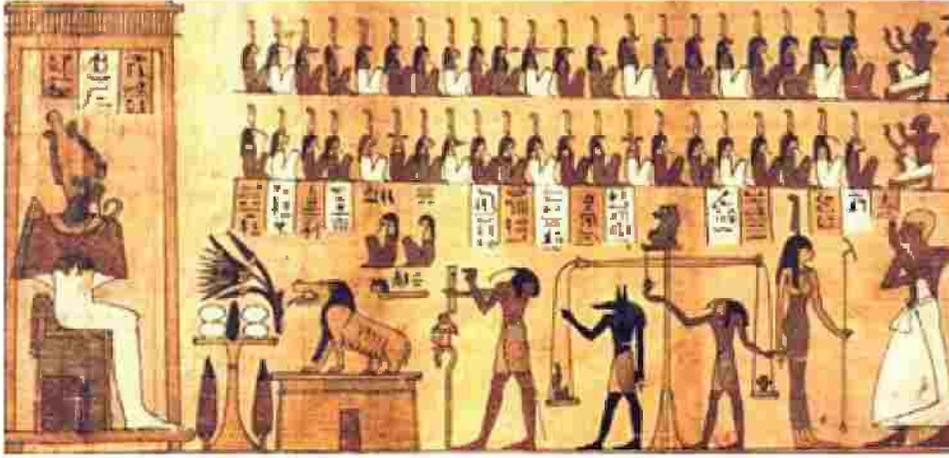
• قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة: الأحقاف - الآية: ٣].

ثم يشير الله سبحانه وتعالى في كتبه ورسله بالحق في قوله تعالى:

• قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [سورة: البقرة - الآية: ٢١٣].

• قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ﴾ [سورة: النساء - الآية: ١٠٥].

- قال تعالى: ﴿ حَصَمَانِ بَعَى بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة: ص - الآية: ٢٢].
- قال تعالى: ﴿ يٰدَاوُدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى ﴾ [سورة: ص - الآية: ٢٦].
- قال تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ [سورة: الأعراف - الآية: ٨].
- قال تعالى: ﴿ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة: الزمر - الآية: ٧٥].  
ثم يشير المولى:
- قال تعالى: ﴿ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا ﴾ [سورة: البقرة - الآية: ١١٩].
- قال تعالى: ﴿ ذٰلِكَ يٰۤاَنَّا اَللّٰهُ نَزَّلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اٰخْتَلَفُوْا فِى الْكِتٰبِ لَئِىْ شِقَاقٍ بَعِيْدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [سورة: البقرة - الآية: ١٧٦].
- قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْنَا الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سورة: آل عمران - الآية: ٣].
- قال تعالى: ﴿ وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰبِ ﴾ [سورة: المائدة - الآية: ٤٨].
- قال تعالى: ﴿ وَاِلْحَقَّ اَنْزَلْنٰهُ وَاِلْحَقَّ نَزَّلَ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة: الإسراء - الآية: ١٠٥].
- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِىْ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ مِنَ الْكِتٰبِ هُوَ الْحَقُّ ﴾ [سورة: فاطر - الآية: ٣١].
- قال تعالى: ﴿ اِنَّا اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصًا لِّهُ الدِّيْنَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة: الزمر - الآية: ٢].
- قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِىْ اَرْسَلَ رَسُوْلَهُۥ بِالْهُدٰى وَدِيْنٍ اَلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهٖ وَكَفٰى بِاللّٰهِ شٰهِيْدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة: الفتح - الآية: ٢٨].



### أوزير كقاض للموتى (الأسرة ١٨)

ويلاحظ هنا استخدام الميزان فى وزن أعمال الموتى

إن الإله أوزير هو إله العالم الآخر «إله الموتى» يراقب عملية «الحساب» من خلال ميزان دقيق لتقدير الحسنات والسيئات، وأمام الميزان يقف المتوفى والإله جعوتى «إله الحكمة والزمن والحساب» ومن خلفه تقف الإله ماعت وفوق رأسها ريشه العدل. كانت من الأقوال المأثورة للمصرى القديم «لم أستعمل القسوة مع إنسان، لم أسرق، لم أقتل، لم أخسر الميزان، ولم أتصنع الصمم وقت سماع الحق والعدل، لم أزد فى ثروتى إلا بالحلال»<sup>(١)</sup>. وعند الحديث عن صفات الحاكم «لا تنطق كذبا لأنك عظيم، وأنت بذلك مسئول، ولا تكن خفيفا لأنك ذو وزن، ولا تتكلم بهتاناً لأنك الموازين، ولا تحد لأنك الاستقامة، إنك والموازين سيان فإذا مالت فإنك تميل كذبا، إن لسانك هو المؤشر العمودى للميزان. وقلبك هو المثقال. وشفتك هما ذراعاه»<sup>(٢)</sup>.

وفى حديث آخر عن صفات الحاكم الصالح «الحاكم الصالح هو الذى يقيم العدل، فهو ميزان العدالة إذا اهتز أو مال أو كذب اضطربت الحياة كلها، لأن الحاكم هو ميزان الأرض وخيط الميزان الذى يحمل الثقل»<sup>(٣)</sup>.

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٣٣).

(٢) (أحمد أمين - سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص٥٦).

(٣) (المرجع السابق، ص٥٥).

ولذلك كان الميزان رمز شائع في الحياة المصرية القديمة للعدالة، حتى كانت كفتا الميزان تظهران في النقوش بمثابة رمز مجسم لتصوير محاكمة كل روح في العالم الآخر، لذلك ولأول مرة في تاريخ البشرية وجدت الموازين فى البرديات. وقد بقيت صورتها وهى منصوبة فى يدى إلهة العدالة العمياء رمزا لذلك إلى يومنا هذا، ولم يكن الأمر قاصرا على تصوير الميزان بأكمله كرمز للعدالة، بل كانت أجزائه تستخدم كذلك لتشير إلى العدالة، فنجد العمود الذى يرتكز عليه الميزان، كما نجد عارضة الميزان الذى تدلى منه كفتاه، ونجد بوجه خاص خيط الميزان، ونجد الثقل المربوط فيه، وبذلك انتشر الميزان من مصر الفرعونية كرمز للعدالة فى المحاكم إلى العالم أجمع اليوم، هؤلاء أجدادنا الذين نقلوا للعالم الميزان كرمز للعدالة ولذلك نجد المصرى القديم فى كلمات محددة يطالب الحاكم بالآتى «أقم العدل لرب العدل، وهو الذى أصبح عدله حقا، أنت يامن تمثل القلم والقرطاس والميزان، ابتعد عن عمل السوء. إن العدل عندما يكون قائما يكون حقيقة عدلا. لأن العدالة أبدية»<sup>(١)</sup>.

وليس مصادفة أن يربط الإسلام والقرآن الكريم بين العدل والميزان فى عدة آيات منها ما يأتى قال تعالى:

- قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ [سورة: الشورى - الآية: ١٧]
- ويلاحظ فى هذه الآية ربط العدل بالميزان والحق معا.
- ويقول المولى الكريم: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة: الأنعام - الآية: ١٥٢]
- وهذه الآية ترى أن العدل كالميزان الذى يعطى الحق لأصحابه.
- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة: يونس - الآية: ٤٧]
- فالرسل يحكمون بالعدل فهم لا يظلمون.
- قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمِ أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة: هود - الآية: ٨٥]
- أمر من المولى الكريم بالعدل الذى شبهه بالميزان.
- قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة: الأنبياء - الآية: ٤٧]
- وهذه الآية تربط مرة أخرى الميزان بالعدل ليوم القيامة.
- قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [سورة: الرحمن - الآية: ٩]
- وهذا أمر آخر بالعدل وتشبيهه جديد للعدل بالميزان.

(١) (أحمد أمين - سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص٥٧).

● قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة: الحديد - الآية: ٢٥].

● قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [سورة: الإسراء - الآية: ٣٥] أمر آخر من المولى الكريم بالعدل وتشبيهه بالميزان.

● قال تعالى: ﴿وَيَقُومُوا أَلْمِيزَانَ الْمَكِّيَّ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة: هود - الآية: ٨٥].

● قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [سورة: الرحمن - الآية: ٧].

● قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [سورة: الأنبياء - الآية: ٤٧].

● قال تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)﴾ [سورة: المطففين - الآيات: ١ - ٥].

ولذلك يرى جمال البنا أن ديانة التوحيد عند الفراعنة هي أقرب الديانات للدين الإسلامى فالحياة الأخرى موجودة بوضوح فى كلاهما، وارتباط ذلك بالنعيم والجحيم ثم فكرة الميزان والعدل واضحة أيضا فى كلاهما<sup>(١)</sup>.

وبالنسبة للبعث والجنة ينصح حكماء المصريين القدماء بالقول «انظر إلى الحياة كأنها ساعة فإن الإنسان يبعث ثانية بعد الموت، وتوضع أعماله بجانبه كالجبال. إن الخلود مثواه الآخرة. والغيبى من لا يكثرث بذلك. أما الإنسان الذى يصل إلى الآخرة، دون أن يرتكب خطيئة فسوف يثاب ويمشى مرحا مثل الأبرار الخالدين<sup>(٢)</sup>.

فهل بعد هذا شك فى أن أجدادنا قد وصلوا لقمة الحضارة والحكمة نتيجة للعدالة والإيمان السليم - وأن أجدادنا هم أول من نادوا بالتوحيد والصراط المستقيم؟

### ٣ - العدالة البيئية عند الفراعنة:

إن المصرى القديم نظر إلى العدالة على أنها تعنى توازن العالم كلة وتعایش جميع عناصره فى سلام وانسجام، مما يساعد على تماسك وحداته للمحافظة على كل المخلوقات، وهذا

(١) (جمال البنا، ١٩٩٩م، ص ٤٦).

(٢) (أحمد أمين - سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص ٥٣).

التفاعل يتضمن بدء من مكوناته الأساسية الكونية، والمجتمع الإنسانى نفسه والعلاقات الودية بين الأحياء، واحترام المعتقدات الدينية التى اشتقت منها العدالة الاجتماعية<sup>(١)</sup>. هذا تعريف شبه متكامل وأقرب للعدالة البيئية بمفهومها الحديث حيث إنه يتضمن ما يأتى:

( أ ) نظرة شمولية تحليلية بمكوناتها الطبيعية أو الكونية والمجتمع الإنسانى.

(ب) هناك علاقات وتفاعلات متبادلة لمكونات البيئة بالمفهوم الشامل.

( ج ) أنها تهدف للحفاظ على التوازن البيئى والإنسانى للحفاظ على كافة المخلوقات.

( د ) أن مفهوم العدالة مشتق من المتغيرات الدينية القائمة.

وهذا التعريف جدير بالاحترام ويعكس مدى رقى وتقدم الفكر المصرى القديم لقضية العدالة البيئية من منظور شامل.

ولم يكتف المصريون القدماء بذلك، بل كانت ديانتهم تقول لهم على لسان الإله: "لقد صنعت مياه الفيضان العظيمة لكى يكون للفقير فيها حق كالعظيم" وكان المصرى القديم يقسم «لم ألوث النيل طوال حياتى»، «لقد صنعت الرياح الأربعة لكى يتنفس منها كل إنسان كزميله طوال حياته»<sup>(٢)</sup>.

هذه هى المساواة بين الفقير والعظيم فى أهم الموارد البيئية مثل المياه، أليست هذه عدالة بيئية بمفهومها الشامل، حرص عليها المصرى القديم وكان حريصا على أن لا يلوث نهر النيل ويعطى الفقير حقه لأنه يعلم أنها حقوق بشرية فى المقام الأول.

#### ٤ - إشباع الحاجات الأساسية للفقراء:

لقد كان ملوك مصر فى عصر الفراعنة يفتخرون بأنهم نشروا لواء العدل، واهتموا بإشباع حاجات الفقراء، والأرامل والأيتام، غير تاركين فرد واحد يئن تحت أثقال الحاجة، وكان هؤلاء الحكام يقدمون حسابهم إلى الآلهة والشعب بقولهم: «لقد أعطيت الأرامل قبل ذات البعل، وأعطيت الفقير قبل العظيم، ولم أميز الرجل العظيم فوق الفقير بشيء، وحين يقبل الفيضان لم أجمع المتأخر من الضرائب عن السنين المجدبة، ولم أستعمل القسوة مع إنسان، ولم أخسر الميزان»<sup>(٣)</sup>.

وبالنظر للنظام السياسى كانت من أهم النصائح التى يوجهها الحاكم إلى رجال الدولة قوله بالنص «عظم من شأن أشرافك لينفذوا قوانينك، لأنهم إذا لم يكونوا أهل يسر فإنهم

(١) أحمد أمين - سوزان عباس، ٢٠٠٨م، ص ١٩.

(٢) محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٣٣.

(٣) محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ص ٢٣ - ٣٣.

لا يقومون العدل في إدارتهم للأمور، لأن الرجل الغنى في بيته لا يتحيز في حكمه. لأنه صاحب عقار وليس محتاج، ولكن الرجل الفقير وهو في وظيفته لا يتكلم حسب العدالة، لأن الرجل الذى يقول ليت لى لن يكون محايدا. بل ينحاز إلى الشخص الذى يحمل فى يده الهدايا - فالعظيم من كان رجاله عظاما».

وجاء فى نصائح حنيتى «أقم العدل لتوطد به مكانتك فوق الأرض، هدئ من روع الباكي، ولا تظلم الأرملة، ولا تحرم إنسانا من ثروة أبيه، ولا تطرد موظفا من عمله»<sup>(١)</sup>. إن الحاكم هو أبو اليتيم وزوج الأرملة وأخ من هجره أهله ووثار من لا أم له، فالحاكم هو نصير المحتاجين والضعفاء<sup>(٢)</sup>.

#### ٥ - غياب العدالة سبب قيام الثورات:

كان لغياب العدالة السبب الرئيسى فى قيام الثورات الاجتماعية الأولى خلال عصر الدولة الوسطى، فوجد الملوك وقد عادوا إلى رحاب العدالة من جديد، ولذلك يصف بعض الباحثين هذا العصر بأنه عهد القوانين العادلة السارية على الملك والشعب، وأصبحت للقوانين بعد هذه الثورة الكلمة العليا فى إدارة شئون البلاد، وسادت المساواة بين الجميع واستمرت هذه الروح خلال عصر الدولة الحديثة<sup>(٣)</sup>.

واهتم النظام السياسى الداخلى الجديد بالمساواة الاجتماعية والسياسية بين جميع أفراد الشعب فى تقلد الوظائف، لا فرق بين النبلاء وعامة الشعب، فلا تمييز بين إنسان وآخر إلا بكفاءته، واهتم النظام الجديد بالشباب لتكوين جيل جديد من الحكام الشباب، ولذلك كانت للعدالة الدور الفعال فى قيام أول دولة مركزية فى العالم ذات أبعاد تفوق المحلية، فكانت العدالة هى الفكرة التى جمعت سكان وادى النيل تحت سيادة واحدة<sup>(٤)</sup>.

كل ما سبق كان جزءا بسيطا لإعطاء فكرة واضحة عن العدالة البيئية فى عهد مصر الفرعونية، وإن كان هذا موضوع يحتاج لمؤلف منفصل فيما بعد، ولكن واضح مدى تقدم مصر الفرعونية وتمسكها بفكر العدالة البيئية من منظور شامل، يتلاقى فى أجزاء كبيرة مع الدين الإسلامى حتى فى المفردات اللغوية، مثل كلمة الميزان كرمز للعدالة وكلمة الحق

(١) (أحمد أمين - سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص ٥٢).

(٢) (أحمد أمين - يوزان عباس، ٢٠٠١م، ص ٥٥).

(٣) (أحمد أمين - سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص ص ٦٠-٦١).

(٤) (Bergman, 1972, p 102).

والاهتمام بكل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والفيزيقية والمساواة فى الحقوق والواجبات ونشر خدمات المياه والمرافق لجميع المواطنين، ومن هنا فعلينا أن نفتخر جميعا أن أجدادنا هم الفراعنة وباليوت كل مصرى يفهم ويعى ذلك.

### ثالثا: العدالة البيئية عند أفلاطون والحضارة اليونانية:

تعد جمهورية أفلاطون من أقدم وأشمل معالجات العدالة الاجتماعية فى الفكر الأوروبى بوجه عام، حيث تناول أفلاطون مفهوم العدل من منظور واسع، هو الدولة أو كما قال رؤية العدل بحروف كبيرة، ويمكن إيجاز أهم أفكار العدالة فى جمهورية أفلاطون فى الآتى:

١ - إن التركيب الطبيعى للإنسان من وجهة نظر أفلاطون أنه يتكون من نفس وبدن، والنفس تتضمن ثلاث قوى رئيسية وهى:

( أ ) القوة العاقلة ويمثلها العقل ومكانها الرأس.

(ب) القوة الغضبية أو الإرادة الشجاعة ومكانها القلب.

( ج ) القوة الشهوانية والغذائية، وتمثل الشهوة ومكانها بين الصدر والعجز<sup>(١)</sup>.

والعقل هو أهم هذه القوى جميعا وحين يسيطر على الإرادة والشهوة معا تصبح النفس الطيبة شفافة قادرة على المعرفة والتذكر، ويشبه أفلاطون النفس البشرية بالعربة التى يجرها جوادان مجنحان أحدهما مندفع متهور وهو الشهوة والآخر هادئ وبطىء وهو الروح والسائق هو العقل وذكر أن العربة سوف تسير إلى الأمام وبانتظام إذا تحكم العقل فى زمام القيادة فيكبح جماح الجواد المشاكس ليتوافق فى سيره مع الجواد البطيء<sup>(٢)</sup> والعدالة تكون مع انسجام الأجزاء الثلاثة المكونة للنفس البشرية وهى العقل والشجاعة والشهوة فهنا يكون الفرد منسجما وصحيحا وعادلا وعدم الاتفاق بين هذه الأجزاء الثلاثة يترتب عليه الظلم وبالمقابل تكون المدينة عادلة إذا كان الأفراد الذين تتألف منهم عادلين أيضا<sup>(٣)</sup> ولذلك يرى أفلاطون أن العدالة تؤدى للسعادة فالعادل سعيد لأن نفسه غير موزعة ومستقرة<sup>(٤)</sup> ولذلك يؤكد أفلاطون أن العدل مصدر إلهى وأن الظلم أفدح الشرور<sup>(٥)</sup>.

(١) أفلاطون، ١٩٦١م، ص ٣٩.

(٢) أفلاطون، ١٩٦٨، ص ١٤٤.

(٣) أفلاطون، ١٩٦١، ص ٢٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٥.

ويقسم أفلاطون فضائل النفس إلى ثلاثة أقسام وهي الحكمة كفضيلة للعقل والشجاعة كفضيلة للإرادة والعفة كفضيلة للشهوة ونتيجة التوازن بين هذه الفضائل تكون العدالة وهذه الفضائل الأربع هي أساس الحكم والجمهورية<sup>(١)</sup>.

٢ - إن فكرة العدالة يسعى إليها الإنسان ليس حبا فيها أو لذاتها، بل لأنه يدرك أهميتها لنجاح المجتمع، ومغبة غياب العدالة، وآثارها السلبية أيضا كبيرة على المجتمع، فبدون العدالة لا تستقيم حياة الأفراد أو المجتمع أو الدولة.

٣ - إن الإنسان بطبعه وبفطرته يميل للتعدى والظلم أكثر من ميله إلى العدالة، ويشبهه «شوبينهور» العدالة بجماعة من القنافذ اقتربت بعضها من بعض طلبا للدفع، فكان لا بد أن تحذ أشواك القنفذ الواحد جسم جاره، ولكن إذا جعلت لكل شوكة غمدا من اللباد أمكنها أن تقترب بعضها من بعض من غير أن تحذ أحدها الآخر، وغمد اللباد هو بمثابة القوانين التي يظن أن العدالة مستقرة فيها، وهي استنتت لتمنع الاحتكاك الذي يحدثه اجتماع الناس بشهواتهم ورغباتهم<sup>(٢)</sup>.

٤ - ويرى أفلاطون أنه لا يجوز أن يترك الفرد يجمع من الثروة ما يريد، فكنز الأموال يجب أن لا يتعدى مبلغا معيناً، حدده أفلاطون بأربعة أمثال ما يملكه الفرد العادي، وإذا زادت ثروة أى فرد عن هذا الحد، وجب أن يتنازل عنها إلى الدولة<sup>(٣)</sup>.

٥ - العدالة في جمهورية أفلاطون هي أن يرد للإنسان حقه، وطبيعة هذا الحق تتوقف على طبيعة العلاقة بين المتعاملين، وعليه جعل العدالة هي نفع الأصحاب ومضرة الأعداء الذين هم أعداء الأمانة والإصلاح، والأصحاب هم الأمانة على الحق.

٦ - وبناء على ما سبق فإن الإنسان العادل حكيم وصالح، والمتعدى شرير وجاهل، ولذلك فالعدالة تؤدي إلى الاتساق والوفاق، بينما الظلم والتعدى يؤدي للنزاع والانقسام<sup>(٤)</sup>.

٧ - هناك كثير من الأفراد بطبيعتهم لا يميلون للعدالة باختيارهم، بل مرغمين، لأنهم يروا أن العدل لا يشبع كل مطالبهم واحتياجاتهم، لذلك يتعدون فيما يستطيعون ذلك، فالظلم غريزة بشرية، والعدالة تحتاج إلى قوة تفرضها.

(١) (أفلاطون، ١٩٦١م، ص ص ١٤٦ : ١٤٩).

(٢) (جمال البناء، ١٩٩٥م، ص٧).

(٣) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٤٨).

(٤) (جمال البناء، ١٩٩٥م، ص٩).

- ٨ - إن العدالة في حاجة إلى مساندة قوة أعظم من الإنسان، وهي قوى الآلهة، فيقول أفلاطون أن العدالة هي المسلك الأمثل للإنسان حتى لو منح خاتم سليمان، وأن كل الحجج والمبررات للعدالة تتضاءل أمام السعادة الأخروية التي تمنحها الآلهة للعدل، فرضا الله أعظم مساندة للعادلين وهي الغاية النهائية للعدالة.
- ٩ - يرى أفلاطون أن الرق ظاهرة طبيعية في الحياة البشرية فالحكام طبقة من ذهب، والمساعدين طبقة من فضة والعبيد طبقة من نحاس أو حديد، ويرى أن العبيد يعجزون عن فهم وتعقل الأمور وفهم مبرراتها، وأن العبد لا عقل له، لذلك فهو يحتاج إلى موجه له عقل<sup>(١)</sup> ولذلك يرى أفلاطون أن الابن يجب أن يعمل في مهنة أبيه سواء كان نجارا أو بائعا أو خلافه<sup>(٢)</sup>.

### تعليق على فكرة العدالة عند أفلاطون:

- ١ - عند الرجوع لتاريخ كتابات أفلاطون قبل ظهور الأديان الثلاثة، فإن كتابات أفلاطون عن العدالة تعد رائدة وجهدا كبيرا أنارت الطريق للعدالة في العديد من الجوانب منها ما يلي:
- ( أ ) أن الإنسان يسعى للعدالة ليست كغاية، بل وسيلة لنجاح المجتمع وتقدمه.
- ( ب ) أن الإنسان بطبعه يميل للظلم والتعدي لإشباع رغباته وأطماعه، وأن العدالة تحتاج إلى قوة تفرضها.
- ( ج ) أنه يجب أن يكون هناك حدود للثروة، وما يشبه حد أقصى للدخل، وما يزيد عن ذلك يعد حقا للمجتمع.
- ( د ) أن العدالة تؤدي إلى الاتساق والاتفاق، بينما الظلم يؤدي للنزاع والانقسام.
- ( هـ ) أن العدالة في حاجة قوية إلى رضا الله تعالى، لأن رضا الله أعظم مساندة للعادلين وهي الغاية النهائية من العدالة.
- ٢ - ويؤخذ على أفكار أفلاطون تبريره لوجود الرق والعبيد، وأن هناك طبقات من ذهب وفضة وحديد، وهذا تفسير غير مقنع ويبرر الظلم بل وينادي بتوريثه للأبناء.

### العدالة في الفكر اليوناني بعد أفلاطون:

الحضارة اليونانية شهدت العديد من الفلاسفة الذين لهم سجل واضح في التاريخ وسنحاول سريعا المرور بأشهر وأكبر هؤلاء الفلاسفة بعد أفلاطون من حيث تناولهم لقضية العدالة وكان من هؤلاء ما يأتي:

(١) (أفلاطون، ١٩٦١م، ص ٦٥).

(٢) (أفلاطون، ١٩٦١م، ص ٧٧).

## ١ - أرسطو:

هو تلميذ أفلاطون النابغ، وله كتابه الشهير عن السياسة وتناول في كتاباته قضية العدالة من زوايا وأراء مختلفة، يمكن إيجاز بعضها في الآتي:

● يرى أرسطو: أن أفضل الدول ما عاش أفرادها مشتركين اشتراكا فعليا في إدارة شئون بلادهم متى استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

● وتحدث عن أنشطة المجتمع الرئيسية، وأن هناك ثلاثة أنواع من هذه الأنشطة وهي تتوافر بعضها أو كلها حسب المجتمع، وتشمل الآتي:

– أنشطة الصيد والقتل.

– أنشطة التجارة والربح.

– أنشطة الصناعات المختلفة.

– ويزداد التفاوت بين الطبقات مع أنشطة التجارة، وأكثر في الأنشطة الصناعية<sup>(١)</sup>.

● ندد أرسطو بالطغاة والظالمين وأن الظلم يرتبط بالتخلف والجهل، ويؤدي إلى الفشل والانهييار.

● ولكن أرسطو يرى أن الرق شرعى وطبيعى، والعبد خلق ليطيع أسياده، وأن العبد مثل الآلة التي تستخدم في العمل، بل إنه يبرر استخدام القسوة مع العبد من أجل إنجاز الأعمال المطلوبة<sup>(٢)</sup>.

● وقد انتقد أرسطو شيوعية الأموال والنساء والأطفال التي تحدث عنها أفلاطون وعارض ذلك بوضوح وأن هذا ليس عدلا.

● شدد أرسطو على أهمية القانون واحترام القانون وأهميته، وضرورة إطاعة الأفراد للقوانين التي تضعها الدولة، سواء صادفت هذه القوانين هوى في نفوس الأفراد أم لا.

● وشدد على أن الإنسان مدنى بطبعه وفي حاجة لدولة قوية تقوم على الحق والعدل، وأن وظيفة الدولة الأساسية هي تطبيق الحق والعدل بشكل يناسب حاجات الأفراد المختلفة.

● نادى أرسطو بأهمية الملكية العامة والتوسع فيها بالنسبة لجزء كبير من الأراضى، ونادى بالمساواة إلى حد استحسان نظام الأكل على موائد عامة.

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٤٨).

(٢) (جمال البنا، ١٩٩٥م، ص١٥).

- وشدد أرسطو على أهمية ضبط عدد سكان كل دولة، حتى لا يزداد الضغط على الموارد المحدودة، ويزداد الفقر والجوع والظلم.
- ويرى أرسطو ضرورة خضوع الفرد للدولة، وقال بأن الفرد يجب أن يكون تحت تصرف إدارة الحكومة، وكثيرا ما كان يقيس فضيلة الإنسان بمدى ما يقدمه لحكومته من خدمات، ويرى ضرورة تضحية الفرد في صالح المنفعة العامة، ويقول إن محاولة الفرد لإشباع حاجاته دفعته إلى الاجتماع، ليكون للأفراد من وراء هذا الاجتماع منفعة مادية.
- ويرى أرسطو أن الفرد وحده بدون الدولة ما هو إلا حيوان، وإنما يتميز الفرد بالاجتماع داخل الدولة، وأنه على الدولة توفير أعلى درجات السعادة لمجموعة أفرادها، وهذا لن يتحقق إلا إذا تمتع المجتمع بالعدل، وتمتع الفرد بقسط وافر من الحرية والاستقلال<sup>(١)</sup>.
- ولكن أرسطو لا يرى أن هناك عدالة بين الجنسين، لأنه يرى أن العلاقة بين الزوج والزوجة، مثل العلاقة بين السيد والعبد، وأن الرجل هو السيد، وأن المرأة مرادف للعبيد، مما يخل بالعدالة بين الجنسين وكان أرسطو يرى أن اليونانيين متميزون كبشر، وهنا تبدو بذرة العنصرية<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - هيسويود:

- ظهر الشاعر هيسويود في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وهو من أوائل الذين دافعوا عن الطبقة الكادحة، وهاجم الملوك المستبدين، والأمراء المرتشين، ولفت نظرهم إلى ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية.
- وأكد هيسويود على الازدهار والتقدم لأي مجتمع يرتبط بالحاكم العادل، فيقول «إن الحكام الذين يحكمون بالعدل، تزدهر بلادهم وتنتعش الحياة فيها، ويرعاها الإله ويسودها الرخاء والسلام».
- ويؤكد بأن رقى المجتمع يقوم على مبدئين وهما:
  - تطبيق العدالة المطلقة.
  - الإخلاص في العمل<sup>(٣)</sup>.

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٤٩).

(٢) (جمال البنا، ١٩٩٥م، ص ١٦ - ١٩).

(٣) (محمد صقر خفاجة، ١٩٦٢م، ص ٢٠٥).

● وأكد هيسيود على أن العمل حق وواجب وشرف، ويجب على الإنسان أن يعمل بجد واجتهاد قدر الإستطاعة، والخير للجميع في العمل الجاد ليلا ونهارا، وألا يكون بعضهم كذكر النحل الخامل الذى يستنفد ما يجمع النحل الكادح من ثمر، بل يجب على أبناء الأمة جميعا أن يتباروا فى بذل الجهد والعمل بإخلاص لأن الفقر يلازم الخاملين، وأن الثراء نصيب العاملين، وأن العمل ليس عارا وإنما العار أن يكون المرء عاطلا ليعيش على أكتاف الآخرين، ولقد أثرت هذه الآراء ليس فى شعب اليونان فحسب بل فى الحكام والمشرعين، والذين سعوا بعد ذلك إلى تطبيق أفكار هيسيود، وترجمتها إلى واقع، ومن أشهر المفكرين «سولون» والذى سيأتى الحديث عنه بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

### ٣ - سولون:

جاء سولون وسط اضطرابات كبيرة كادت تقضى على أثينا، فقد كان الخلاف على أشده بين الطبقة الأرستقراطية والشعب، وكان الحكم فى يد حفنة من النبلاء الذين كانوا يستبيحون الأرض والفقراء، ولذلك تم انتخاب سولون عام ٥٩٤ قبل الميلاد، وخطى ببلاده خطوات كبيرة نحو العدالة الاجتماعية كان أهمها ما يلى:

● إصدار قانون (إسقاط الأثقال) وهو القانون الذى ألغى جميع الديون العامة والخاصة عن الفقراء، وبذلك أسقط هذا القانون حملا ثقيلا عن أعناق الفقراء<sup>(٢)</sup>.

● تحرير الفلاحين بإعادة ملكية الأراضى للفلاحين، والتى كانت انتزعت منهم بالقوة فى الماضى.

● إصدار عدة قوانين أخرى لحماية الزراعة والإنتاج القومى من المنافسة الخارجية، وتحسين حال الزراعة والفلاحين.

● ألغى الرق بسبب الديون، واعتبر تنازل المواطن عن حريته بسبب الديون عملا باطلا وغير قانونى.

● وأعطى الشعب بجميع أبنائه حق التقاضى عند شعوره بأى ظلم، وحق الاستئناف أمام مجالس الحكم، مما يكفل لجميع أبناء الوطن العدالة فى المعاملة والمساواة.

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦، ص ص ٢٢ - ٢٤).

(٢) (جمال البنا، ١٩٩٥، ص ١٦).

- وساعد سولون في نشر الحرية الفردية كركيزة أساسية لتحقيق العدالة داخل المجتمع ، مما يشعر كل مواطن بمسئوليته في نشر العدالة والحرية معا.
  - ومما لا شك فيه أن سولون نجح في وضع نواة الحكم الديمقراطي وإقرار سيادة الشعب ورفع الظلم الاجتماعي عن الطبقات الكادحة<sup>(١)</sup>.
- ولقد سادت العدالة الاجتماعية اليونان فترة من الزمن ، ولكن الديمقراطية لم تدم طويلا بعد سولون ، وخاصة بعد الحروب الطويلة التي استمرت من القرن الخامس إلى القرن الثاني قبل الميلاد حيث انهارت فيها أسس المساواة والحرية والديمقراطية<sup>(٢)</sup>.

### تعليق:

ويتميز فكر أرسطو بتركيزه على أهمية احترام الأفراد للقانون كركيزة للعدالة الاجتماعية ، وأن العدالة هي وظيفة الدولة والحاكم ، وأهمية خضوع الفرد للدولة ، وأن الإنسان تقاس فضيلته بما يقدمه لدولته من خدمات ، وأن الفرد بدون الدولة ليس له قيمة ، ولكن يؤخذ على أفكار أرسطو اعترافه بشرعية الرق ونظرته للرجل على أنه سيد والمرأة مرادف للعبيد وهذا انحراف كبير عن فكرة العدالة.

ويتميز فكر هيسويد بأنه ربط تقدم المجتمعات بتطبيق العدالة المطلقة ، والإخلاص والتفاني في العمل ، وأن العدل مسئولية الحاكم ، وأن العمل حق وواجب وشرف.

ويتميز سولون بأنه طبق أفكاره في العدالة على أرض الواقع ، وحقق عدة إنجازات حقيقية في مجال العدالة ، أهمها إصدار قانون إسقاط الأثقال الذي ألغى ديون الفقراء وقانون إلغاء الرق ، وأعطى الشعب بجميع أبنائه حق التقاضي عند شعوره بالظلم ، بجانب قوانين حماية الزراعة والنتاج القومي.

### رابعا: العدالة البيئية في الحضارة الرومانية:

انتشرت الحضارة الرومانية ولاسيما في فترة التشكيل من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الثالث بعد الميلاد ، حيث امتدت الإمبراطورية الرومانية إلى بلاد شتى في أوروبا وأسيا وأفريقيا ، ويمكن تلخيص أهم ما يختص بالعدالة في الآتي :

(١) (محمود الشرقاوى ، ١٩٦٦م ، ص ص ٢٤-٢٦).

(٢) (محمد صقر ، ١٩٦٢م ، ٢٠٧).

١ - كان المجتمع الروماني ينقسم إلى طبقتين، وهما الطبقة الأرستقراطية تعيش في بذخ وتترف وتنعم بكل الخيرات، والشعب ويمثل الطبقة المحرومة من معظم ضروريات الحياة، فقد كان للطبقة الأرستقراطية وحدها القدرة على شراء الإقطاعيات من الأملاك العامة والأميرية، وتسابق أعضاء هذه الطبقة في الشراء والإمتلاك، ثم لجأت بعد ذلك إلى شراء الإقطاعيات الصغيرة من صغار المزارعين، وانتهى الحال إلى تركيز الملكية في يد حفنة قليلة من الملاك، يقدرها البعض في روما بنحو ألفى شخص<sup>(١)</sup>، وكانت الطبقات الفقيرة تلجأ إلى الاقتراض من الأغنياء بربا فاحش، وعادة تعجز عن السداد، فيصبحوا كالأرقاء تماما، ويعملون عند الأغنياء كالرقيق في المزارع أو المدن، مما أدى إلى هروبهم من هذه المعاملة، وزاد النزاع مع زيادة الفجوة بين الأغنياء والفقراء، فشهدت البلاد اضطرابات واسعة عام ٤٩٤ قبل الميلاد، حيث اجتمع الآلاف من الكادحين والمظلومين، وانسحبوا من معركة حربية كانت قائمة في هذا الوقت، واشترطوا لعودتهم إلى الميدان إسقاط الديون التي كانت عليهم، كما طالبوا ببعض الضمانات السياسية، وصاح تيبيريوس بالنيابة عن هؤلاء المظلومين قائلا «نحن نضحى بدمائنا، ولا نملك غير الهواء الذي نستنشقه، فلا سقف يظلمنا، ولا مأوى ثابت يأوينا، بل نهيم على وجوهنا في الأرض نحن ونسائنا وأطفالنا، ولا نملك حفنة من التراب، وغيرنا يملك كل شيء ولا يحارب»<sup>(٢)</sup>.

٢ - ويذكر التاريخ أيضا في القرن الأول قبل الميلاد ثورة العبيد المسلحة بقيادة سبارتاكوس من أجل المطالبة بالعدالة الاجتماعية ورفع الظلم، وكان سبارتاكوس عبدا مقدونيا تعلم المصارعة في مدرسة للعبيد، وفر مع بعض العبيد الآخرين كانوا يتعلمون معه، وكانوا خليطا من الزنج والبيض، من أسبانيا والسودان وسوريا ومقدونيا وألمانيا وغيرها من البلاد، وحضهم سبارتاكوس على الثورة ثم التف حوله من روما والمدن المجاورة نحو مائة ألف عبد، وجعلوا من قمة بركان فيزون مركزا لقيادتهم، وتمكن الرومان من هزيمتهم، وقاموا بصلب نحو ستة آلاف من العبيد، وبرغم ذلك فإن هذه الثورات والاحتجاجات أثرت كثيرا في فكر العلماء والفلاسفة بعد ذلك.

٣ - ظهر بعض العلماء الذين ينادون بالعدالة الاجتماعية وإنصاف الفقراء، ورفع الظلم عنهم، ومنهم جراكوس الذى طالب بأخذ الأراضى من الأغنياء نظير تعويض من الدولة، وتوزيعها على الفقراء، بالإضافة لكل الأراضى التي أخذت ظلما من أصحابها،

(١) (على عبد الواحد وافي - حسن سلطان، ١٩٦٤م، ص ١٠٨).

(٢) (ألبيير بابيه، تاريخ إعلان حقوق الإنسان، ص ٣١).

ثم إعادتها إليهم مرة أخرى، ولكن كان رد الفعل على هذه المطالب اغتياله عام ١٣٣ قبل الميلاد، ثم تبني هذه المطالب أخاه كارلوس ولكنه اغتيل هو الآخر عام ١٢١ قبل الميلاد، ثم بدأ بعدهما كانيلينا واغتيال أيضا عام ٦١ قبل الميلاد<sup>(١)</sup>.

٤ - كما ظهر أوليبانوس الذى وضع تعريفا للعدالة بأنها إرادة دائمة لإيفاء كل ذى حق حقه، وهذا التعريف يلفت النظر إلى أهمية وجود إرادة دائمة لتحقيق العدالة، ويضيف أوليبانوس أن العدالة ترتبط بثلاث حقوق هي:

- أن نعيش خيرين لأنفسنا ومن حولنا.
- أن لا نضير أحد بتصرفاتنا وسلوكنا.
- أن يؤتى كل ذى حق حقه.

٥ - كما ظهر شيشرون الذى توفى عام ٤٣ قبل الميلاد، وكان متأثرا بفكر أفلاطون خاصة فيما يتعلق بالعدالة، وهناك مفكرين آخرين مثل فولوبيوس، ومثل أبيقنتس الفيلسوف الرواقى، وبفضل كل هؤلاء، والأحداث السابقة، اقتربت الفلسفة السياسية للرومان إلى العدالة أكثر من الحضارة اليونانية، هذا برغم العنصرية الواضحة فى العصر الرومانى، حيث يرى الرومان أنهم سادة العالم أجمع، وأن الرومان خلقوا ليكونوا ملوكا<sup>(٢)</sup>.

### تعليق:

يلاحظ أن الحضارة الرومانية عانت أيضا من غياب العدالة لفترات طويلة، مما أدى لثورات مثل تيبيريوس وسبارتكوس مما مهد بعد ذلك لخطوات فعالة فى مجال العدالة قادها جراكوس وغيره من العلماء.

### خامسا: العدالة البيئية فى الفكر الصينى:

وللحضارة الصينية بالطبع تراثها الحضارى فى البناء والعدالة والتنمية، وهناك تجارب متعددة فى هذا المجال، منها ما قام به الإمبراطور «وو-دي» قبل الميلاد بنحو قرن، عندما جعل كل الثروات الطبيعية ملكا للأمة، ليمنع الأفراد من امتلاك ثروات الجبال والبحار، واحتكرتها الدولة مع احتكار الملح والحديد، وسعى الإمبراطور «وو-دي» إلى منع الوسطاء

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٣٥-٣٦).

(٢) (جمال البنا، ١٩٩٦م، ص ١٩-٢١).

والمضاربين فأنشأ نظاما قوميا للنقل وتبادل السلع وتحكم الدولة فى الأسعار، فكانت الدولة تخزن ما زاد من السلع عن حاجة الأهالى وتنزلها الأسواق، حينما تزداد أسعارها، كما كانت تتدخل الدولة أيضا لشراء المحاصيل إذا انخفضت أسعارها، حتى لا تنهار الأسعار ويخسر الجميع، وكان هناك نظاما عادلا للضرائب، حيث يسجل أولا دخل كل فرد فى المجتمع فى سجلات حكومية لمنع التهرب الضريبى، ثم قامت حركة مضادة من كبار الملاك، وحدثت انتكاسة فى العدالة الاجتماعية لفترة وجيزة، ولكن بعد نحو ثمانين عاما جلس على عرش الصين الإمبراطور «وانج - مانج»، وقام بتأميم الأراضى الزراعية وتوزيعها على الفلاحين، ثم أصدر قانونا بمنع بيع الأراضى الزراعية، حتى لا تعود الإقطاعيات مرة أخرى، وتبقى الأرض للأبناء والأحفاد، واستمر المجتمع الصينى عقودا من العدالة، ثم انتكاسة حتى جاءت الثورة الشيوعية<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ تكرار التجارب السابقة أيضا فى الحضارة الصينية، حيث إن الظلم صناعة بشرية تتكرر شرقا وغربا وفى كل مكان، والتمادى فى هذا الظلم وغياب العدالة، يؤدى لثورات متتالية تنجح أحيانا وتسود العدالة ثم تنتكس مرة أخرى، وهكذا يعلمنا التاريخ أن العدالة حق يجب أن يؤخذ بالمطالبة المستمرة، وبالليقظة وإرادة الأمة وليس منحة ننتظرها من الحكام.

#### سادسا: العدالة البيئية فى اليهودية:

١ - لقد سجل موسى عليه السلام - بوصية من الله تعالى نصوص أول شريعة قضائية مكتوبة (حز ٢١ : ١) وتم اختيار ٧٠ قاضيا رسميا، وعلى أن يتولى موسى - عليه الصلاة والسلام - الحكم فى القضايا الكبرى، وحددت الشريعة شروط دعاوى التقاضى، وسؤال شهود الإثبات والنفى، وإجراءات المحاكمة، وطرق تنفيذ الأحكام وتعتبر «الوصايا العشر» موجز القانون الأخلاقى لليهود، بينما تعتبر (العظة على الجبل) (مت ٥ - ٧)، (العهد الجديد) دستور المسيحية، كما تعتبر مخالفة أية وصية (إجراما فى الكل) (يع ٢ : ١٠) لأن الخطيئة لا تتجزئ إلى صغائر وكبائر<sup>(٢)</sup>.

٢- وكذلك صان النظام القضائى أحكام القضاء إذا اعتبرت أحكام القضاء كأنها صادرة من الله ذاته (تث ٦ : ١٦-١٨) وكذلك نجد عدم التدخل فى القضاء لصالح أحد، أو إرهاب

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٣٧-٣٨).

(٢) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص ٩٩).

القضاء وبالتالي عدم خوفهم من سطوة الحكام والسلطات الإدارية أو التنفيذية، حتى يكون هناك استقلال تام للقضاء لضمان تحقيق العدالة، كما حددت التوراة شروط اختيار القضاة، ومنها العلم بالشريعة والاتصاف بالنزاهة والاستقامة والحكمة، وعدم قبول الرشاوى<sup>(١)</sup>.

٣- ولقد وضعت أسفار العهد القديم أسس المعاملات المادية السميحة التي تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية، فمن ذلك ما شرعته بشأن القروض والرهن، إذ قررت أنه لا يصح لليهودى أن يقرض أخاه بفائدة، ولا أن يرهقه بالمطالبة، وأن ينظره إلى ميسرة، وألا يأخذ حجرى رحاه التي يطحن عليها قوته رهنا فى دينه ولا حجرها الأعلى، لأنه (بذلك يكون قد رهن حياة أخيه نفسها) وإذا أعطاه ملابسه رهنا وجب عليه أن يردها له قبل غروب الشمس فى اليوم نفسه (لأنه غطاه الذى يستر جسمه فإذا جرد منها تعرض للهلاك)<sup>(٢)</sup>.

٤- ولقد أكدت اليهودية على حماية حقوق العمال الضعفاء، ولذلك أوجبت على ملاك الأراضى والمصانع وأصحاب رؤوس الأموال أهمية الرعاية والرحمة والإحسان تجاه العمال والفقراء والأرقاء، بل وتجاه الدواب نفسها، فقدرت أنه لا يجوز العمل أكثر من ستة أيام فى الأسبوع، وفى اليوم السابع وهو يوم السبت يستريح جميع الناس وأيضاً الدواب، وإنه يجب أن يدفع أجر العامل قبل أن تغرب شمس كل يوم، كما يجب أن يترك فى كل حصاد الحقول (الحبوب)، وفى كل ثمار الفواكه والخضار نصيب للفقراء والمساكين وابن السبيل، وهناك نصيب الله فى زكاة الأرض والأنعام، لسد حاجات المعوزين، كما يجب على الأغنياء فى الأعياد والمناسبات أن يقيموا الولائم ويقدموا الطعام لليتامى والمساكين والفقراء، وحتى بالنسبة للرق تقرر اليهودية أنه بعد ست سنوات من الرق يتحرر الرقيق، كما تدعوا اليهودية للحد من البذخ والترف والإسراف فى المآكل والمشرب والحياة بوجه عام<sup>(٣)</sup>.

٥- وبالنسبة للبيئة الطبيعية تدعو النصوص المقدسة إلى ضرورة مراعاة عدم تلويث البيئة الزراعية، وإلا هلك الزرع والضرع، وقد أمر الله الشعب بضرورة الاعتناء بزراعة

(١) (تث ١٦ : ١٩، مز ٨٢ : ٢-٣، أم ٢٤ : ٢٣).

(٢) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٣٩).

(٣) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ٤١).

الأشجار لفوائدها، ودعا الرب إسرائيل إلى مراعاة عدم إتلاف الأشجار أو قطعها إذا كانت مثمرة، حتى لو كانت في أرض الأعداء ووقت الحروب<sup>(١)</sup>.  
كما سمحت الشريعة اليهودية لكل جائع يمر بالحقل أن يأكل حتى يشبع بلا مقابل، وهذا نوع من التكافل الاجتماعي في البيئة الزراعية، وحفظ ماء الوجه بدون مد يد العون<sup>(٢)</sup> كما تؤكد الشريعة اليهودية أن ثمار الأشجار هي هبة من الله للبشر، وعليهم أن يتذكروا نعم الله عليهم فيقدموا العشور والندور، ليأكل منها الفقراء والأرامل والغرباء، كما تدعو شريعة اليهود بنى إسرائيل إلى ضرورة أن يترك المالك مساحات محدودة على أطراف الحقول والمحاصيل المزروعة، دون حصاد حتى يجمعها الفقراء، وأن الأراضي الزراعية بعد زراعتها ست سنوات متعاقبة يجب أن تترك مساحات من كل حقل بدون زراعة في العام السابع لحمايتها من الإهلاك<sup>(٣)</sup>.

#### سابعا: العدالة البيئية في المسيحية:

١ - هناك إشارة إلى العدل في ١٢٤ موضعا من الكتاب المقدس، ودعا الرب إلى ضرورة التزام العدل بين الناس، حيث نجد في سفر عاموس النبي أن العدل بين الناس هو أحد القيم الأساسية للمجتمع، وأن الحقوق تتطلب تنفيذ الواجبات، وأن الامتناع عن تنفيذها يستوجب العقاب<sup>(٤)</sup> وأن غياب العدل يؤدي إلى التفكك والفشل، ومن هنا يحذر يوحنا المعمدان من الظلم ويقول (لا تظلموا أحدا ويأمر الله بالعدل بين الناس مسئولين وغير مسئولين ويربط الله العدل بالحق والرحمة)<sup>(٥)</sup>.

٢ - إن ثورة السيد المسيح - عليه السلام - لم تكن مقصورة على الاحتكار الديني الذي خص بنو إسرائيل أنفسهم به، ولكنها كانت أيضا ضد النظام الاقتصادي الشره الذي نتج عنه التكالب المادي وانتشار الربا<sup>(٦)</sup> ولقد جاء في إنجيل مرقس عن السيد المسيح - عليه الصلاة والسلام - (وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع لماذا تدعوني

(١) (تث، ٢ : ١٩-٢٠).

(٢) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص ٢٥).

(٣) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص ٢٥).

(٤) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ٩٢).

(٥) (العهد القديم).

(٦) (عبد العزيز عبد المجيد، ١٩٦٤م، ١٥٠).

صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله. أنت تعرف الوصايا - لاتزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد الزور، لا تسلب، أكرم أباك وأمك - فأجب وقال له: يا معلم هذه كلها حفظتها منذ حدثتني فنظر إليه يسوع وقال له: يعوزك شيء واحد، اذهب بع كل ما لك - وأعطه الفقراء. فيكون لك كنزاً في السماء، وتعالى اتبعنى - فمضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة، فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه: ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله، فتحير التلاميذ من كلامه فأجاب يسوع وقال لهم: يا بني ما أعسر المتكلمين على الأموال الدخول إلى ملكوت الله، إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله<sup>(١)</sup>.

٣- ونهى المسيح - عليه السلام - صراحة عن عبادة المال «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدر أن تخدموا الله والمال» (متى : ٦ : ٢٤).

ويرى المؤلف أن عبادة المال تطفى على العدالة وللأسف عبادة المال اليوم أصبحت ظاهرة في مجتمعنا لأن أى أستاذ أو معلم أو طبيب أو محامى يسعى وراء المال على حساب مبادئه ورضا الله سبحانه وتعالى فهو أغضب المولى فى سبيل المال وأخذ به غير حق.

٤ - ولقد حذر المسيح - عليه السلام - من اكتناز الأموال واقتناء الذهب والفضة «ولا تكتنوزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، حيث ينقب السارقون ويسرقون» (متى : ٦ - ١٩) ومن وصايا المسيح - عليه السلام - إلى حوارية الإثنى عشر ما يأتى: (لا تفتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ولا مزوداً للطريق. ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً لأن الفاعل مستحق طعامه) (متى)، كما ينهى أشعياء النبى صراحة عن حياة البذخ والطمع والجشع (اش : العهد القديم) (وطالب بإنصاف الموظفين ورد حقوق الأرملة والأيتام والضعفاء)<sup>(٢)</sup>.

٥ - ودعا الرب إلى التزام العدل التام فى القضاء والمعاملات التجارية من بيع وشراء وخلافه (تث - العهد القديم) وحمل الله بشدة على الظالمين وتعتبر الشريعة المسيحية الظلم خطيئة مركبة وعقابها مضاعف ولذلك تكرر الحديث عن إنتشار الظالم فى العالم وفى كافة المجالات وقد فصله الكتاب المقدس فى ١٤٦ موضعاً ويتنبأ الكتاب المقدس بأنه فى آخر الأيام سيأتى الرب يسوع ويقضى بالعدل<sup>(٣)</sup>.

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ١٨).

(٢) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ٩٣).

(٣) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ٩٣).

٦ - أن الجهاد الحقيقي في المسيحية ضد شهوات النفس ، ورغبات الجسد والظلم «مجاهدين ضد الخطيئة (عب ١٢ : ٤) ، وأن التكالب على جمع المال يؤدي لإصابة الإنسان بالشراهة والبعد عن الله ولذلك طلب الملك سليمان من الله قائلاً «لا تعطينى فقراً ولا غنى وأعطني خبزاً فرضيتنى. لئلا أشبع ولئلا أفترق وأسرق» (أم ٣٠ : ٨ - العهد القديم) ، والعين لا تشبع من النظر، والأذن لا تمتلئ من السمع ، وكل الأنهار تصب في البحر، والبحر ليس بملأ، أى أن العين الشهوانية الشريرة لا تشبع ، ولا تمل ، وهى التى تدنس القلب، ويقول المسيح - عليه السلام - «العين هى سراج الجسد. فإذا كانت العين بسيطة فجسدك كله يكون منير، فطوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون (مت ٥ : ٩).

٧ - وتدعو المسيحية إلى تحقيق التكافل الاجتماعى كوسيلة لتحقيق العدالة من خلال وضع أسس التكافل الاجتماعى بالدعوة إلى إطعام الجائع وإرواء ظمأ العطشان، وإيواء الغريب والضعيف وكساء العريان وزيارة المرضى (مت ٢٥ : ٣٥ - ٤٠) وتضيف المسيحية إلى أن من يعطف على المسكين مادياً أو معنوياً ومن يقدم لأحد المحتاجين قدم للمسيح ذاته (مت ٥ : ٤٠) ، وحملت المسيحية بكل شدة على كل الأغنياء الذين يرفضون القيام بخدمة المحتاجين (لأن من يستطيع أن يفعل حسناً ولا يعمل فتلك خطيئة له) (يع ٤ : ١٧) ومن يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب (أم - العهد القديم) وبنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم (مت ٧ : ١) وتطبيقاً لهذه التعاليم، فقد سارت الكنيسة الأولى فى عصر الرسل على مبدأ الإشتراكية فى النواحي الاجتماعية والاقتصادية لأعضاء الكنيسة باعتبار أن جميع المؤمنين أسرة واحدة يتشارك كل أعضائها فى العطايا والموارد المادية التى ترد إليها من الأغنياء والكنائس الغنية، ولذلك تدعو المسيحية إلى الرحمة والمحبة عن طريق التعاون والتواد والتراحم والعرق والوفاء<sup>(١)</sup>.

٨ - وبالنسبة للبيئة الطبيعية تدعو المسيحية إلى عدم التفريط فى الأرض بالبيع فى قصة نابوت الزرعيلى والملك أخاب، وقال الوصى «لا تنقل التخم (حدود الأرض) القديم الذى وضعه أبأؤك (ام ٢٢ : ٢٨ - العهد القديم).

٩ - والمسيح - عليه السلام - هو صديق الطبيعة التى يرعاها ويوجهها ويستخدمها فى تعاليمه وأعلامه، وكان يقضى معظم وقته فى أحضان الطبيعة «كان يصلى فى

(١) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص ١٢٠).

الخلاء» (لو ٩ : ١٠)، وكان يفضل تقديم عظامه في البيئة الساحلية حول بحيرة طبرية، وكان الشعب يقف على الشاطئ. وكان المخلص يجلس في قارب يرسو قرب الشاطئ (مت ١٥ : ٢٩).

وقال الوحى ذات مرة إنه قد انصرف مع تلاميذه إلى اتجاه البحر وتبعه جمع كثير (مر ٣ : ٧) كما يسجل البشير مرقص أن يسوع قد أخذ تلاميذه في رحلة خلوية إلى شرق الأردن (مر ١٠ : ١) وقضى معهم وقتا ممتعا في أحضان تلك الطبيعة الرائعة (مت ١٩) والتي وصفها أقرب قديما بأنها كانت الجنة مصر (تك ١٣ : ١٠ - العهد القديم)<sup>(١)</sup>.

### ثامنا: العدالة البيئية فى الإسلام:

بداية يرى المؤلف أن العدالة البيئية فى الإسلام قد عرضها المؤلف تفصيلا فى الفصلين الأول والثانى، وحاول إثبات ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين، وبعض الصحابة، ولذلك سوف نحاول الآن إعطاء الملامح الأساسية مختصرة حتى لا يكون تكرارا مملا، وفى ضوء ما سبق يمكن إيجاز أهم ملامح وأبعاد العدالة البيئية فى الإسلام فى العناصر الآتية:

١ - إن قضية العدالة البيئية من خلال المفهوم الشامل لها تشغل منزلة الصدارة فى الإسلام، وقد تعددت الآيات والأحاديث التى تأمر بالعدل بمفهومه الشامل للعدالة بين الأشخاص والأجيال فى مختلف الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية والتشريعية والخدمية، كما هناك العديد من الآيات والأحاديث التى تندد بالظلم وترى أن العدالة هى معيار الإيمان والحكم والحاكم الناجح والحياة المستقيمة، فالعدل هو اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته كما ربط الله سبحانه وتعالى بين العدل والحق لأن الحق هو العدل مجردا، والعدل هو الحق مطلقا.

٢ - إن العدالة فى الإسلام حق يؤخذ وليست منحة أو إحسان، وذلك لأن المال هو مال الله والإنسان مستخلف فيه بما لا يضر المجتمع، والحاكم مسئول عن إشباع الحاجات الأساسية للفقراء، وتأمين البلاد، ونفقات الجيش وذلك، من خلال مصادر شتى أهمها ما يأتى:

( أ ) الزكاة بمختلف أنواعها والتى تصل إلى ٢٠٪ فى الركاز.

(١) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص ص ١٤-١٥).

(ب) الكفارات عن المعاصي أو الأخطاء وهي متنوعة مثل كفارات الحج ، والقتل الخطأ وكفارة اليمين.

( ج ) الأضحية سواء في عيد الأضحى أو عند العقيقة وخلافه.

( د ) الوصية في حدود الثلث.

(هـ) الوقف الخيري.

( و ) الصدقات المستحبة.

وبعد ذلك على الحاكم إن لم يكفى ما سبق أن يأخذ ما يشأ من أموال الأغنياء لإشباع الحاجات الأساسية للفقراء وتمويل الجيش وتوفير الأمن.

٣ - البعد الاجتماعي للعدالة البيئية في الإسلام واضح حيث يقر الإسلام مبدأ كراهية تركيز الثروة في يد قلة من أفراد المجتمع ، والزكاة وسيلة عملية لتحقيق ذلك ، كما أن نظام الميراث يفتت الثروة بالإضافة إلى أن إشباع الحاجات الأساسية للفقراء في الإسلام يتجاوز ذلك إلى مساعدة هؤلاء على الاستمتاع الحلال بمباهج الحياة ، ومن ناحية أخرى هناك نهى واضح عن الإسراف والتبذير إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، والاستخلاف في المال يعنى التصرف فيه بما لا يضر المجتمع ، وإلا من حق المجتمع الحجر على من يسيء استخدام المال وهذا لا يتعارض مع الاعتراف بالفروق بين الأفراد وبأن الناس طبقات وأن المساواة في إتاحة الفرص المتساوية ، أمام الجميع في التعليم والعلاج وخلافه ، ثم لكل فرد بعد ذلك نصيبه من الاجتهاد والنجاح.

٤ - البعد الاقتصادي يبدأ بالزكاة إلى الكفارات والصدقات والوقف الخيري وإباحة الضرائب التصاعدية على الأرباح والتركات ، ووضع حد أدنى وحد أقصى إلى أن يصل إلى أنه لا ثروة لأحد عند المجاعة.

٥ - البعد الطبيعي ، الإسلام ينظر للكون كله على أنه وحدة متفاعلة ومتناغمة ، ويهتم بحقوق الإنسان والحيوان ، وأهمية الحفاظ على البيئة بمواردها موصولة العطاء ، لأبنائنا وأحفادنا ، وأهمية العدالة بين الأفراد والأجيال ، وذلك سواء في الأراضي أو غيرها من الموارد الطبيعية لكل مكان ولكل زمان.

٦ - الخدمات الأساسية - مسئولية الدولة والحكام بداية من المسكن الملائم ، إلى العمل ، وتوفير فرصة الزواج ، والدابة والخادم وغيرها من الخدمات الأساسية التي يجب

توافرها في جميع المناطق بنفس الجودة مع مراعاة العدالة في نشر هذه الخدمات وتسييرها، بحيث تتحمل الفئات الأيسر دخلا الجانب الأكبر من التكلفة لصالح الفئات الأقل دخلا.

٧ - المساواة التامة في كافة الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين بدون تمييز لفئة أو جنس أو دين أو لأي سبب آخر.

٨ - فى ختام هذا الجزء يمكن تلخيص أهم آراء الشيخ الغزالي فى مجال العدالة بوجه عام فى الآتى:

(أ) الاقتصاد الإسلامى يقوم على التوازن بين الحقوق والواجبات، والموازنة بين الملكية العامة والملكية الخاصة، بحيث لا يترك للأثرياء أن يطفوا ويعبثوا بأموال الأمة<sup>(١)</sup>.

(ب) تأميم المرافق العامة، وجعل الأمة هى المالكة الأولى لمواردها، وإقصاء الشركات المحتكرة لخيرات الأمة سواء كانت أجنبية أو وطنية.

(ج) تحديد الملكيات الزراعية الكبرى، وتكوين طبقة من صغار الزراع، وتحديد الملكيات غير الزراعية الكبرى، وفرض ضرائب على رؤوس الأموال الكبرى.

(د) استرداد الأملاك التى أخذها الأجانب وإعادتها إلى أبناء البلاد.

(هـ) تحريم تملك الأراضى المصرية على الأجنبي تحريما مؤبدا.

(و) ربط أجور العمال بأرباح المؤسسات التى يعملوا بها<sup>(٢)</sup>.

(ز) وأخيرا على الدولة الإسلامية أن تحقق كل ما سبق، مهما كانت العوائق اقتصادية أو سياسية، حتى لو لم يبقى لكل فرد من الشعب إلا قوته الضرورى لما جاز أن تتراجع الدولة عن تنفيذ ذلك البرنامج، ولذلك فمن حق الدولة أن تفرض ما تشاء من ضرائب أوقيبود من أجل حماية الشعب وكيان الأمة<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ على أفكار الشيخ الغزالي أنها كتبت ونشرت أول مرة عام ١٩٤٧م ثم أعاد نشرها بعد مراجعتها مرة أخرى عام ٢٠٠٥م، بمقدمة جديدة للكتاب مما يعنى تمسكه بها ورؤيته أنها مازالت صالحة ومطلوبة الآن فى العصر الحديث، بغض النظر عن

(١) (الغزالي، ٢٠٠٥م، ص ١٠).

(٢) (ص ١٨٢).

(٣) (الغزالي، ٢٠٠٥م، ١٨٣).

الاتفاق أو الاختلاف حول بعض التفاصيل ، ولكن الثابت والمؤكد مسئولية الدولة الإسلامية ، والحاكم فى الدولة الإسلامية عن تحقيق العدالة البيئية ، والعمل على تمكين الفقراء أو الضعفاء من الحصول على حقوقهم ، مما يساعد بعد ذلك على رقى الأمة وتقدمها فهى ليست مجرد صدقة أو إحسان أو محبة.

